تجربة حياة

باب ما جاء في (الهياط)

obeikandl.com

obeikandl.com

أنا كعربي

والعرب ظاهرة صوتية، أعترف أنني أنساق إلى الجدال والمناكفة والحروب الكلامية الهلامية، حين يغيب الحلم (العقل) مثلما قال شاعرنا العربي القديم:

أحلامنا تزن الجبال رزانةً

وتخالنا جناً إذا ما نجهلُ

فالعربي، وأنا أحدهم، حين يطيش حلمه يستل سيفه، وبما أن عهد السيوف انتهى، ولم تعد الشجاعة ممتدحة ولا معترفاً بها لدى شيوخ مراكز الشرطة وشيخ شمل قبائل وزارة الداخلية، وبما أن الخصم المنابز لم يعد معروفاً لدينا، فإننا نستل ألسنتنا بدلاً عن سيوفنا، فلعلها تشفي غليل غضبنا عندما نرى دماء الحرف تسيل فوق صفحات النت البيضاء، ونحن كجنود منتصرين تحت ظلال الكيبوردات!

صحيح أنه انتصار وهمي لا يشبع ولا يغني من جوع، إلا أن العروبة تأبى إلا إهدار طاقاتها العقلية والكلامية، وإهدار أوقاتها وأموالها في ما لا طائل منه.

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

إذا بلغ الصبي لنا فطاماً

تخرُّ له الجبابر ساجدينا

ونشرب إن وردنا الماء صفواً

ويشرب غيرنا كدراً وطينا

إنه (الهياط) العربي منذ القدم.

إنها حاجة العربي الملحة دائماً إلى الإثارة.

بيئته الجامدة تدعوه دائماً إلى افتعال الأزمات.

وخواؤه المعرفي يقوده باستمرار إلى ادعاء البطولة.

ويا للأسف!

رغم أننا تعلمنا، واتصلنا ببقية الأمم، وسافرنا، وقرأنا واطلعنا، وفتحت لنا أسباب الوعي والرقي على مصراعيها، إلا أننا ما زلنا نحلم بالإثارة، ونتجمهر على (الأكشن)، ونصفق للديوك المتصارعة، وترتفع أصواتنا وكأننا (شريطية) المعارض عصر الخميس، الكل يتكلم ويزايد، والكل لا يسمع، ولو أن الأمر توقف على المجادلة حول الأفكار وطعنها ورفسها وركلها ونطحها لقلنا: الاختلاف لا يفسد للود قضية، ولكن الأمر تعدى إلى الذات والأهل والعشيرة، وأصبحوا عرضة للسهام رغم جهلهم بالمعركة وأرضها وأسبابها.

نخرج من المعركة كالطواويس.

كل يدعي الفوز أمام نفسه ويتباهى به.

لكن ..

وبمجرد أن يغلق جهازه يشعر بأن كل شيء انتهى!

وعمَّ الهدوء أرجاء عقله الذي كان ممتلئاً بالضجيج والصياح والنياح والنباح!

وحين يعود للذاكرة ويجتر وجوه الخصوم وكلماتهم يحقِّر عقله، ويشعر بالندم، ويؤنبه ضميره، وتشمئز منه نفسه، ويتساءل : كيف تم جرِّي إلى هذا الوباء، وكيف وقعت في هذا البلاء، وكيف لطخت نفسي بالغثاء، كيف جرحت هذا، وكيف أخطأت على ذاك، كيف سمحت لكلماتي بالتعدي على الناس، إلخ أسئلة التوبيخ، فإذا بذلك الطاووس ينقلب دجاجة منتوفة الريش أمام نفسه وأمام عقله وأمام ضميره، فينام بحقده على نفسه، وعلى الذين جروه إلى أتون الحرب الكلامية، ويردد قبل أن ينام : حتى أنت يا بروتس!